

فرحان العنزي

نعمة الصحة

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزیز بن فرحان العنزي

-حفظه الله-

نعمة الصحة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة.

ثمَّ أَمَّا بَعْدُ:

فإن نعم الله عز وجل على عباده تترى؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

نعم الله ﷻ إذا تأملها الإنسان يجدها ظاهرة في الأديان وفي الأبدان، ومن نعم الله العظيمة علينا أيها المؤمنون (نعمة الصحة) هذه النعمة العظيمة، التي بها يقيم الإنسان فرائض الله ﷻ، ويقيم بها الواجبات المنوطة في عنقه، واجب الزوجة، وواجب الولد، وواجب المجتمع، وواجب الأمة.

ولذلك خصها النبي ﷺ صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالذكر، حينما قال: « نِعْمَتَانِ مَغْبُوتٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ »^(١)، وقد قيل: "الصحة تاج على رؤوس الأصحاء".

لا يعرف قيمة هذه النعمة إلا من سلبها، فأسأل الله تعالى أن يسبغ عليّ وعليكم وعلى جميع المسلمين نعمه، ولا سيما نعمة الصحة والعافية؛ فإنها من أجل النعم، وأفضل المنن.

ولذلك حثَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما على اهتبال فرصة الصحة قبل المرض، فقال: « وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ... »^(٢).

وسيُسأل الإنسان يوم القيامة، عن صحته، وعن عافيته، ماذا عمل في ذلك الزمان؟ وماذا عمل في هذه الحال؟ حال الصحة والمرض.

ولذلك شريعتنا الإسلامية السمحة، جاءت بالعناية بالصحة الخاصة والعامّة، شريعة قائمة على الوسطية والاعتدال، شريعة تقوم على التوازن بين متطلبات الروح، وبين متطلبات الجسد؛ فكما أنّها تدعو إلى السعي للأخرة، كذلك تدعو إلى إتقان العمل في الدنيا.

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

وإنَّ نعمةَ الصحة -أيها المؤمنون- نعمةٌ عظيمةٌ، ولذلك حينما نتأمل في نصوص الشريعة الإسلامية السمحة، نجد أنَّ الشريعة حثَّت على بذل الوسائل، التي تعين على المحافظة على أن يكون الإنسان صحيحًا في بدنه، صحيحًا في عقله، صحيحًا في جميع أموره وشؤونه.

مِنَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَلَّ لَنَا الطِّيبَاتِ، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا الْخَبَائِثَ، وَبَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بهذا؛ حيث امتنَّ ﷺ علينا به في قوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

لماذا؟

لأنَّ الله ﷻ الذي خلقنا هو أدرى بما يُصلحنا وينفعنا، وهو أدرى بما يضرنا ﷻ، ويُفسد أحوالنا، ولذلك دلَّنَّا على ما فيه رُشدنا وفلاحنا، ونهانا عما فيه فساد عقولنا وأرواحنا وأبداننا، ولذلك جاء تحريم الخمر في الكتاب والسنة، وذلك لِمَا فيها من المفاصد العظيمة، مفاصدٌ في العقل، ومفاصدٌ في المال، ومفاصدٌ في البدن، ومفاصدٌ في العِرض، عافانا الله وإياكم وجميع المسلمين والمسلمات!

وَمِنَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَسَّسَ لِمَسَائِلِ الْفِطْرَةِ، الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ ﷻ النَّاسَ عَلَيْهَا، حِينَما بَيَّنَّ لِلنَّاسِ أَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ مُؤْذِيَةً، قَدْ تَتَعَلَّقُ بِالْإِنْسَانِ، فَمِنَ فِطْرَتِهِ أَنْ يَزِيلَهَا وَأَنْ يُبْعِدَهَا عَنْهُ.

قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ - أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ - الْخِثَانُ، وَالْإِسْتِحْدَادُ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَتَنْفُ الْإِطْبِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ»^(١).

وهذه دعوة إلى أن يكون الإنسان على قدرٍ من التجميل، وعلى قدرٍ من النظافة، فيزيل ما دعت الفطرة إلى إزالته.

ولذلك حينما دخل رجلٌ إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وأظافره طويلة، كره ذلك، وعُرف في وجهه، وكذلك: دخل رجلٌ وأسنانه فيها بقايا طعام، فكراه ذلك النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وعُرف ذلك في وجهه.

وكان **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يؤكد على السواك كثيرًا؛ حتى إنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ما كان يدخل بيته إلا ويستاك، وكان **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول: «لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»^(٢)، وقال في الحديث الآخر: «لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ»^(٣).

بل إن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وهو يودع الدنيا، ودعها وآخر شيء فعله أن استاك **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، بمسواك عبد الرحمن بن أبي بكر، أخي عائشة رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٩)، ومسلم (٢٥٧) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٢) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٣) ذكره البخاري معلقًا (٣/ ٣١)، وأخرجه مالك في "الموطأ" (١١٥)، والنسائي

في "السنن الكبرى" (٣٠٢١)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٤) أخرجه البخاري (٨٩٠) من حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ

أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَنْئُ بِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فَقُلْتُ لَهُ:

نعم، في هذا دعوة إلى أن يكن المسلم نظيفاً، طيباً، طيب جميل المنظر، وتقوم فرشاة الأسنان، أو شيء من المنظفات مقام المسواك على الصحيح من قولي أهل العلم.

نعم عباد الله، تقوم هذه الأشياء مكان المسواك أو السواك إن فقدته الإنسان.

أيضاً حثّ نبينا محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** على النظافة بالاغتسال؛ حتى إنه أكد على الاغتسال في كل أسبوع مرة، في يوم الجمعة؛ فقال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «غُسِّلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ»^(١)، في إشارة إلى أن يكون بدن الإنسان نظيفاً، ولذلك ذهب بعض أهل العلم إلى وجوب الغسل يوم الجمعة، وأما جماهير العلماء فذهبوا إلى سُنيته واستحبابه.

والمقصود هنا أيها المؤمنون: الدعوة إلى أن يكون الإنسان دائماً طاهراً نظيفاً في بدنه، فالاغتسال لا شك أنه يزيل كثيراً من الأوباء والأمراض، أو يقطع كثيراً من الأوباء والأمراض التي قد يتعرض لها الإنسان.

وحيثما نتأمل في دعوة الشريعة إلى الابتعاد عن المحرمات، نجد أن من معانيها وحكمها؛ هي قطع السبيل عن الأمراض الفتاكة، والأوباء المزمنة، من ذلك تحريم الزنا؛ فالله تعالى قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ [الإسراء: ٣٢]، ولم يقل: (ولا تزنوا)، قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾، بمعنى: لا تبدلوا الوسائل، ولا

أَعْطِنِي هَذَا السَّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَأَعْطَانِيهِ، فَقَصَمْتُهُ، ثُمَّ مَصَعْتُهُ «فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَنَّ بِهِ وَهُوَ مُسْتَسْنِدٌ إِلَيَّ صَدْرِي».

(١) أخرجه البخاري (٨٥٨)، ومسلم (٨٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله

تمشوا في الطرق التي تؤدي إلى الزنا، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] ^(١).

قال كثيرٌ من أهل العلم ^(٢): ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾: "هي ما يلقاه الزَّاني من الأمراض والأسقام، والعالم كله الآن يعاني أمراضًا فتَّاكة، عجزت فنون الطب كلها عن أن تجد لها علاجًا، ولا أدلَّ على ذلك من مرض الإيدز - عافانا الله وإياكم وجميع المسلمين والمسلمات - هذا المرض الخطير، الذي هو نِقْمَةٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ، ومن غضبه ﷻ على هؤلاء المنحرفين، الشاذين عن فِطْرَةِ اللَّهِ ﷻ، الراغبين الموغلين في الحرام، المبتعدين عن الحلال".

ولذلك جاء في الحديث - وإن كان في إسناده نظر-: «وَمَا انْتَشَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ ﷻ بِالْأَسْقَامِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِ» ^(٣) ومعناه صحيح.

نعم عباد الله، هذه شريعتنا تدعو إلى أن يكون الإنسان على أحسن حال.

أيضًا في جانب الحِمْيَةِ؛ فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثَلْثُ لَطْعَامِهِ وَثَلْثُ لَشْرَابِهِ وَثَلْثُ لِنَفْسِهِ» ^(١).

(١) يُنظر: "تفسير" ابن كثير (٧٢ / ٥).

(٢) يُنظر: "التفسير المنير" للزحيلي (٦٩ / ١٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم في "المستدرک" (٥٨٢ / ٤) من حديث عبد

الله بن عمر، رضى الله عنهما، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"

(٢ / ٥٢١).

قال ابن القيم (شمس الدين أبي عبد الله) رحمة الله عليه وغيره من أهل العلم: "هذا الحديث اختصر فنَّ الطب بأسره" ^(٢).

نعم، «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ»، فالمعدة كما يقول الأطباء بيتُ الداء، ولذلك الإنسان يمشي في قضية الأكل والشرب مشياً رقيقاً متأنياً، مُنظماً لأكله وشربه؛ وذلك لسلامة بدنه بإذن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وكما أنَّ الشريعة الإسلامية حثَّت على بذل الوسائل المُعينة على بقاء الصحة، وبقاء البدن معافى بإذنه **ﷻ**، كذلك حثَّت على التداوي؛ فالشريعة لم تجعل الإنسان مُذبذباً بين التسليم للقدر والقضاء، وبين بذل الوسائل في التداوي، وإنما جعلت الأمر قائماً على الوسطية والاعتدال، اعقلها وتوكل على الله **ﷻ**.

ولذلك جاء الناس إلى النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، بعد ما سمعوا منه الحث على التوكل على الله **ﷻ**، فقالوا: يا رسول الله أنتداوي؟ فقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «تَدَاوُوا عِبَادَ اللَّهِ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً، إِلَّا قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عِلْمُهُ مَنْ عِلْمُهُ وَجَهْلُهُ مَنْ جَهْلُهُ» ^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، والنسائي في "السنن الكبرى" (٦٧٣٧)، وأحمد في "المسند" (١٧١٨٦) من حديث المقدم بن معدي كرب، رضى الله عنه، وصححه الألباني في "مشكاة المصابيح" (١٤٣٤ / ٣).

(٢) "الطب النبوي" (ص: ١٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٤٣٨)، وأحمد في "المسند" (٣٥٧٨)، والنسائي في "السنن الكبرى" (٦٨٣٤)، من حديث عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٤٥ / ٢).

والدواء على نوعين:

- دواءً طبيعيّ، من خلال العقاقير، ومن خلال مراجعة الأطباء المعروفين بالتخصص في الأمراض.

- وعلاجٌ عن طريق الرقى الشرعية، الواردة في الكتاب والسنة، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رقاها جبريل (١)، ورقى غيره (٢)، ودعا إلى الرقية عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بشرط أن تكون باللغة العربية، وبالآيات الشرعية القرآنية، وبالأوراد والأذكار النبوية، الثابتة عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك القرآن أنزله الله ﷻ شفاءً، شفاءً للأبدان، وشفاءً للأرواح، وشفاءً للقلوب، وشفاءً للمجتمعات بإذن الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وسورة الفاتحة تصنع صنعاً عجيبيًا، حيث جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري، في قصة اللديغ الذي لدغته حيةٌ أو عقرب، وقالوا لأصحاب أبي سعيد: (هَلْ مِنْكُمْ مِنْ رَاقٍ؟ فَإِنَّ سَيِّدَ الْقَوْمِ قَدْ لُدِّعَ؟ فَجَاءَ رَجُلٌ

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٦) من حديث أبي سعيد الخدري، رضى الله عنه؛ أَنَّ جَبْرِيلَ أتى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اسْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ».

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤٢) عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْرَةَ، اسْتَكَيْتُ، فَقَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أَرْقِيكَ بِرُقِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُدْهِبَ الْبَاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا».

قال: أنا أُرقي، فلما جاءه قال: قرأ عليه بسورة الفاتحة، فكأنما نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ^(١)، في إشارةٍ إلى تأثير القرآن على أمراض البدن بإذن الله ﷻ.

وهذا لا يعني بالضرورة أبداً أن يستسلم الإنسان فيترك التداوي الطبيعي من خلال الذهاب إلى المستشفيات.

وأيضاً أيها المؤمنون شريعتنا الإسلامية، كما أنها حثت على الصحة الخاصة، كذلك حثت على الصحة العامة، في صورٍ كثيرة، سأذكرها بإذن الله ﷻ في خطبتي الثانية.

أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، ويا فوز المستغفرين، أستغفر الله.



(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى، وعلى من بأثره اقتفى، إلى يوم الحشر والمنتهى.

أَمَّا بَعْدُ:

فيا أيها المؤمنون، حينما نستقرأ سيرة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، نجد نبينا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يدعو أمته إلى أن يكونوا على أحسن حالٍ في الأديان وفي الأبدان، فكما أنه دعاهم إلى ربهم **رَبِّكَ**، وإلى الاعتقاد الصحيح، كذلك وجههم إلى أن يكونوا في أبدانهم على أحسن حال، فدين الإسلام دينٌ يدعو إلى النظافة، ويدعو إلى التجمل، ويدعو إلى أن يكون الإنسان في مظهره جميلاً جذاباً، وأن يُدخل السرور والبشاشة على الآخرين.

أمّا ما يقال من التبذل وغير ذلك من الأمور التي يصنعها من لا خلاق لهم، فهذا ليس من دين محمدٍ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، دين محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قائمٌ على أن يلبس الإنسان الثوب الجميل، وأن يتناول الطعام الجيد النافع بإذن الله **رَبِّكَ**.

دين محمدٍ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قائمٌ إلى أن يتداوى الإنسان، وإلى أن يسعى في إصلاح نفسه، حتى إنَّ أهل العلم نصُّوا على أنَّ الإنسان لو لم يجد إلا طبيباً كافراً جاز له أن يذهب فيتطبب عنده، نصَّ على ذلك أحمد وغيره – رضي الله تعالى عن الجميع.

ومن ذلك أيها المؤمنون ما يتعلق بمسؤولية الجماعة عمومًا عن صلاح البيئة ونظافتها، فالناس كلهم مسؤولون أمام الله **عز وجل**، ومسؤولون أمام ولاة الأمر عن النظافة العامة، أو الصحة العامة، أو أن تكون بيئتهم نظيفة، لذلك نبينا **عليه الصلاة والسلام** بين أن هناك أماكن لا يجوز للإنسان أن يحدث فيها حدثًا، حتى قال: «**اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ**»^(١)، وفي حديث آخر: «**اتَّقُوا المَلَاعِنَ الثَّلَاثَ**»^(٢)، وفي ضبط: «**اتَّقُوا اللَّعَّانِينَ**»^(٣)، قالوا: وما هما يا رسول الله؟ «**الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ**».

وهذا فيه إشارة إلى مَنْ لَوَّثَ وشوّه الأماكن العامة، التي هي منتديات الناس، وملتقياتهم، أو المحال، التي يجلسون فيها، أو الأشجار التي يستظلون بظلها، أو الحدائق العامة، أو الأماكن العامة، فهذا يجلب اللعنة عليه والعياذ بالله، يجلب اللعنة عليه؛ لأن الناس إذا رأوا مَنْ تغوط، أو تبول، أو خلف شيئًا من النفايات في هذا المكان، الذي وُضع لمصلحة العامة، ولمصلحة الأمة، فلا شك أنهم سيبادرون إلى لعنه، إلى سبّه.

(١) عند أبي داود (٢٥)، وأخرجه مسلم (٢٦٩)، وأحمد (٨٨٥٣)، وابن حبان (١٤١٥) من حديث أبي هريرة، رضى الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦)، وابن ماجه (٣٢٨) من حديث معاذ بن جبل، رضى الله عنه، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٦ / ٥٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩)، وأحمد (٨٨٥٣)، وابن حبان (١٤١٥) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

وأيضًا حثّ نينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** على أن تكون شوارعنا أيضًا جيدةً، ونظيفةً؛ حتى لا تجلب الأمراض والأسقام، من ذلك: أنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ^(١) ذَكَرَ أَنَّ رَجُلًا وَجَدَ شَجْرَةً فِي طَرِيقِ النَّاسِ فَأَزَاحَهَا فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ **رَبَّكَ** الْجَنَّةَ .

النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** حينما حدّث بهذا، لا من باب التسلية، وإنما من باب التعليم، في دعوة إلى أن يكون كل مسلمٍ يحمل هذا الهم، وألا يكِل المسؤولية إلى الآخرين، حتى ولو كانوا موظفين بهذا القصد، ولكن عليه أيضًا أن يكون إنسانًا إيجابيًا، فاعلاً مصلحًا، بمعنى أن يُسهم في قضية رفع الأذى عن طريق الناس.

كذلك أيها المؤمنون؛ ما يتعلق بقضية الأوباء العامة؛ فالنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا» ^(٢) .

وهذا الحديث يمثل قاعدة لأهل الطب، ولعلماء البيئه، ما يسمى بـ(الحجر الصحي)، من كان موجودًا في داخل البلد الذي وُجد فيه الطاعون فلا يخرج، لماذا؟

لأنه سيُعدي الآخرين، وسينشر عدوى هذا الطاعون.

وبالمناسبة، لم يثبُت أبدًا في حديثٍ عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أنه أكل مع مجذوم، وجميع الأحاديث الواردة في هذا الباب، أحاديث لا تصح عن

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٢٨)، ومسلم (٢٢١٨) من حديث أسامة بن زيد، رضى الله

نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، بل الصحيح عنه أنه قال: «فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ»^(١).

وكان **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يقول كما في هذا الحديث: «إِذَا سَمِعْتُمُ الطَّاعُونَ فِي بَلَدٍ فَلَا تَدْخُلُوا إِلَيْهِ»^(٢)، وذلك حمايةً للإنسان من أن تصيبه الأمراض والأسقام.

كذلك المسلم مدعوٌّ إلى أن يتعد عن جميع الأماكن الموبوءة، المريضة، المليئة بهذه الأمراض والأسقام، يتعد عنها، ويتعد عن أهلها، وذلك حمايةً لنفسه، من أن تهلك.

أيها المؤمنون! بلغنا أن وزارة الصحة في هذه الدولة المباركة، تقوم بمسح صحيٍّ في كثيرٍ من المناطق والأمارات، وذلك لوضع إستراتيجية صحية، القصد منها إيجاد قاعدة بيانات عظيمة، وذلك لنشر الأشياء الطيبة، المعينة على أن يكون الإنسان في صحةٍ تامةٍ بإذن الله **عَزَّ وَجَلَّ**.

وزارة الصحة تهيب بجميع المواطنين التعاون معهم، وأيضاً إبداء المعلومات الصحيحة، وذلك حتى تكون الخطط الإستراتيجية الموضوعية في هذا الشأن على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية والفائدة المؤثرة بإذن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والقصد من ذلك النفع العام، وقطع الأمراض والأسقام التي بدأت تنتشر من حولنا، نسأل الله تعالى أن يعافينا وإياكم، وأن يلهمنا رُشدنا وثوابنا، إن ربي سميعٌ مجيب.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٧) من حديث أبي هريرة، رضى الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

هذا وصلوا وسلموا على النبي المصطفى، والرسول المُجتبى، إذ أمركم الله ﷻ بالصلاة والسلام عليه؛ فقال سبحانه وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فرحان بن عزيز

الدكتور عزيز بن فرحان الجبلاني العنزي
Aziz Farhan AlHeblani AlEnezi